

[أصل المثل : رجع بخفي حنين]

وُخِفَا حُنَيْنٌ ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف في حُنَيْنٍ ، فقال يعقوب : إنه كان رجلاً مُدْعِيًّا ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه خُفَّانٌ ، فقال : يا عم إني من ولد هاشم ، فأنعمَ النَّظَرُ فيه ، وقال : لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائلَ هاشم ، فارجع خائبًا خاسرًا .

وقيل : كان رجلاً مغنيًا ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليُطربَهم في نزهة ، فخرج جوابه إلى الصحراء ، فضر به وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفَّيْهِ ؛ فلما رجع إلى زوجته - وكانت تنتظر رجوعه على عادته بما يفضلُ من أطعمة النزهة - ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجع حُنَيْنٌ بخُفَّيْهِ .

وقيل : إنه كان صانعًا ، فساومه أعرابيٌّ بخُفَّين ، وما كسه حتى أحرجه . فلما ارتحل الأعرابيُّ ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعهما على الطريق ، ثم مشى وألقى الأخرى في موضع آخر على الطريق ، وكن له ، فلما مرَّ الأعرابيُّ بالْخُفِّ قال : ما أشبه هذه بخُفِّ حُنَيْنٍ ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتها . فلما انتهى إلى الأخرى ، ندِمَ على ترك الأولى ، فأناخ راحلته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عمَّد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابيُّ إلى قومه دُخْلَفَيْن ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفِّي حنين . فصار مثلاً .

وقيل : كان حنين لصًا حقيرًا فأخذَ وُصْلِبَ ، فجاءته أمه وعليه خُفَّانٌ فانزعمتها ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفِّي حُنَيْنٍ ، أي رضيت منه بذلك .

فَتَبَصَّرَ وَلَا تَشْمُ كُلَّ بَرْقٍ رَبِّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ حَيْنٍ
 وَاغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِنْ غَرَامٍ تَكُنْ فِيهِ ثَوْبٌ ذَلِ وَشَيْنِ
 فَبَلَاءِ الْفَتَى اتَّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ وَبَذَرُ الْهَوَى طُمُوحُ عَيْنِ
 قال الراوى : فَمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، وَلَمْ أَبَلْ أَعْدَلَ
 أُمَ عَذَرَ .

* * *

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع
 الرعد والبرق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ،
 وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صعق . غرام : عذاب الحب . شين :
 عيب . والبذر : زرع الحب فى الأرض .

طموح : ارتقاء يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألم فيه بقول عيسى
 عليه السلام : « لا يزنى فرجك ما غضضت بصرك » ؛ وقد تقدّم : من كثرت
 لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرى فى اتباع الهوى :
 وهجر الهوى للمرء فاعلم سعادة

وطول الهوى رَيْنٌ عَلَى الْقَلْبِ رَائِنُ
 فكن دافئاً للشر بالخير تسترخ من الشر إن الخير للشر دافِنُ
 وقال آخر :

لماذا أنت لم تعصِ الهوى قاذك الهوى

إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال المتنبي :

عزيرٌ أَسَى مِنْ دَاوُدَ الْأَعْيُنِ النَّجَلُ عناء به مات المحبون من قبل^(١)
فمن شاء فليُنظر إلى مَنْظَرِي نذيرٌ إلى مَنْ ظنَّ أَنَّ الْهَوَى سَهْلُ
وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رَحَلَ الْعَقْلُ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهُ محضُ الْعِيَانِ الَّذِي يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ^(٢)
أما الضَّيِّ فُجِنَتْهُ نَظْرَةُ عَنِّي كَأَنَّهَا وَالرَّدَى جَاءَا عَلَى قَدَرٍ
فهمتُ معنَى الْهَوَى مِنْ وَخِي طَرَفَكَ لِي
إِنْ الْحَوَارِ لَمْ يَفْهَمُوا — وَمِنْ الْحَوَارِ

وقال العباس بن الأحنف :

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِمَا جَاءَهُ تَأْتِي بِهِ وَتَسْوَقُهُ الْأَقْدَارُ^(٣)
حتى إذا اقتحم الفتى لَجَجَ الْهَوَى جاءت أمورٌ لا تُطَاقُ كِبَارُ

فهذا كله بيِّن بيت الحريري .

قوله : « مزقت » : قطعت . شَذَرَ مَذَرَ : قَطَمًا متفرقة في كل جهة ،
وأصل الشَذَر قطع الذهب ، ومَذَرَ اتباع لها .
لم أَبَلْ : أي لم أَهَالِ . عَذَلَ : لام . عَذَرَ : قَبِلَ العَذَرَ .

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .

(٢) ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ٩٩٦ .